عبد الفتاح الجمل



عبد الفتاح الجمل

وقائع عام الفيل

كما يرويها
الشيخ
نصر الدين جحا

دار الفكر المعاصر
٤ ميدان الجمهورية
القاهرة

رقم الايداع ٧٩/٣٨٦٥

الــى ..

محمــد كامــل القليوبـــى

« جحــا »

مقدمة لا تتم

قرأت الكتاب أكثر من مرة ، ولم أقرأه المرات الكثيرة لأننى أريد أن أكتب هذه الكلمة ، ولكننى قرأته كما تفعل أحيانا عندما تضع رأس الجرامونون على بداية جانب من الخيوط الدقيقة السوداء على الاسطوانة ، حتى تخرج النغمات التى تعرفها وتنتظرها وتحبها • فأنا أحب أن أسمع ما يكتبه عبد الفتاح الجمل ، وقراءتى له أقرب الى السماع من القراءة ، وهذا أول ما أنصح به القارىء ، فأنت لو ضممت شفتيك ، ولم تخرج الكلمات مصاتة وأنت تقرأ ، فسيفوتك الكثير من المعانى والانطباعات التى يريد ان يصفها الكاتب •

ولكن عليك أن تحترس وأنت تقرأ ، فأنت بحاجة الى مهارة كمهارة العازف وهو يلعب هذا الجزء الشقى الفكة الحلو من السيمفونى أو السوناتا ، وأقصد به « السكيرزو » • ولست أستسلم للتشبيه ، ولكنى أحس أن عبد الفتاح يكتب دائما فى روح السكيرزو الموسيقية •

نغم حلو ، ولكنه سريع متقطع قصير ، يثب

الى قلبك ، ويثبت ويربت عليك ، فاذا به كالاظفار الحادة ، يجرح وقد يسيل دما ، ولكنه على أية حال سيترك أثرا حتى ولو اندمل !

ولست استطيع أن أزعم لنفسى أننى أعرف بوضوح لماذا أشبه كتاب « عام الفيل » بأنه حركة من قطعة موسيقية ، وكأنما هناك حركات تسبقه وتلحقه ، أو لماذا أشعر بحركة السكيرزو بالذات ، وأخيرا لماذا يذكرنى أسلوب الكاتب بيد القط التى قد تكون ناعمة كالحرير ، لينة كالوسادة المريحة ، وهى دائما تخفى المخلب الحاد القاطع الذى يظهر على حين فجأة ، ويختفى كما ظهر ، ليعود اللين والحنان ٠

ولن أحاول فى هذه الكلمة الا أن أجرب معرفة أسباب ذلك ومظاهره ٠ ومثل هذا الاقتراب من كتاب وقائع عام الفيل ، هو فى نظرى اهم ، أو على الاقل أكثر صعوبة واثارة من الحديث عن المضمون الفكرى للكتاب ، أو عن الآراء السياسية والاجتماعية والنفسية التى يقررها الكاتب ٠

فالمضمون هو كما أعتقد واضح تماما لا لبس فيه ، وهو مكرر فى كل سطر تقريبا ، وكأنه جملة واحدة أو نكتة حادة نافذة ، والآراء أو الأحكام

على وجـه أصح ، على تعددهـا ، لا تفاجئـك بتفردها أو بعمقهـا ، فالكثير منها متكـرر معـاد وكأنـه نـواح • ولكنهـا تفاجئـك أساسـا بطريقة صياغتها ، وبمفاجأة ظهورهـا أمامك ، وكأنهـا بديهيـة واضحة ، وكأنهـا منظـر مشـهود ، وليسـت رأيـا عقليـا ، عليك أن تتناوله وأن تصل اليه •

فاذا حاولنـا ، رغـم ذلك التحـدث عن المضمون الفكـرى والآراء ، فاننا سـنجد أنفسـنا مـرة أخـرى حائرين أمام طريقـة التعبير ، وأمـام طبيعـة النغـم « المضروب » ، أعنـى المعزوف ، وأسـلوب الضرب أكثـر مما نجـد أنفسـنا مترددين أو محيرين أمـام المعنى والمقصـود •

وقـد يجـد البعض أن مثل هـذا الحديـث عـن وضـوح المعنـى عند عبد الفتـاح ، وقـرب الـرأى أو بساطته ، هو شـىء يخالف الانطبـاع السريع الذى يتكون لـدى القارىء ، من أن الكتاب صعب أو رمزى •

بـل اننى أتصـور أن بعضـا من القـراء سيخطىء فى ارتكـاب هذا الطريق للفهم ، وأعنـى بـه طريقـة التحليل وفـك الرموز ، لأن هذه الطريقـة قـد أصبحت أسلوبا عقليـا عند الكثير من القـراء • وقـد أرجـو أن يوجـه عبد الفتاح الجمل بعض جهـده فـى

كتاب آخر الى متابعة نشأة هذه « الموضة » ، وكيف تكونت لدينا ولدى قرائنا ، حتى أصبح بعض الكتاب يكتب استجابة لها ، والكاتب ـ فيما أومن ـ قادر على فك هذه العقدة بطرق الصدمة والمبادهة والكشف عن البصلة التى تثير الدموع ، واثبات أن الدموع التى تذرف فى طريق الرمزية ومحاولة حلها هى دموع زائفة •

اننى أجد نفسى أكتب محاولا أن أقلد أسلوب الكاتب ، لا أعنى أننى أقلده ، فأنا فى الحقيقة لن أستطيع ذلك ابدا ، وهناك أسباب كثيرة • والسبب الواضح والبسيط لذلك ، هو أننى مازلت أحاول أن أحلل هذا الأسلوب ، وأن أتبين عناصره ، ولا أظن أحدا يستطيع أن يقلده الا بعد أن يسير ولو قليلا في مثل هذا التحليل •

* * *

يبدأ الكتاب باسمه « وقائع عام الفيل » • أول ما يتبادر للذهن هو عام الفيل ، أعنى به فيل أبرهه ، وقد يظل القارىء يتصور هذا حتى وان قرأ أن هذه الوقائع تروى عن مولانا الشيخ نصر الدين الشهير بجحا ، ولكنه سرعان ما يتبين أنه أمام عام آخر فى قلب غزوة التتار ، وفى صحبة أحد مشاهير أبطالهم تيمور لنك الأعرج •

وهذه القفـزة فـوق القرون بسرعة وبدون خطـر ، هى احـدى خصائص فكر عبد الفتـاح الجمل • وقـد يذكـر القارىء الذى قـرأ رحلتـه فى قلب الصحراء الغربية المصرية (كتاب : آمون وطواحين الصمت ») كيف كان يفعل ذلك دائما وبنفس السهولة •

فاذا قلبت صفحـة العنـوان ، فأنت أمـام كلمـة لابن المقفـع الذى يكتب ـ لـو تذكرت ـ بأسـلوب رمزى بسـيط هو أسـلوب قصص الحيوان (كليلـة ودمنـة) ، ويحكـى قصصـا مألوفـة مكـررة ، ولكـن بأسـلوب يكاد أن يكـون معجزا فى نسـجه وقوتـه • وكاتبنـا ينظـر بطرف عينه الى ابن المقفع ، لا ليقلده ، ولكن ليثيره فى نفسـك ، وليسـتفيد هو بما أثـاره ، وبما يضعه ذلك فى روح القارىء مـن ذكريات وأفكـار ونغم •

« صاحب السلطان ، كراكب الأسـد ، الناس تهابه ، وهو لمركبـه أهيب » • وهذا فى الحقيقـة هو مضمون وقائـع عـام الفيـل • فاذا أنت أرغمت على ركـوب الأسـد أو على مصاحبـة السلطان فلا يفعل المـرء هذا عـادة طواعيـة ، أو عن رغبـة خالصـة فى ذلك ـ فأنت تثير مهابـة فى غير موضعهـا عند الناس ، لانهم لا يعرفـون أنـك خائف ترتعـد على الظهر الصـعب الذى اعتيلته ، وأنـك لا تعـرف ماذا قـد يحـدث

فى كل خطوة من خطوات هذا الموكب المهيب من الخارج فقط · انه فى الحقيقة موقف يجب ألا يثير المهابة ، بل أن يثير الاحساس العاقل بالخطر وبضرورة التجنب · فهل هذا هو الهدف الذى يريده الكاتب ، هل هذا هو ما يريد أن يعلمنا اياه ، وأن ينصحنا به ؟

هنا تطرأ الصعوبة الفريدة للمضمون عند الكاتب ، فأنت لا تستطيع أن تقطع بهذا أبدا ، ولا تستطيع أن تطمئن — على فهمك للمضمون — الى ما يريد الكاتب فعلا من تقريره ومن توضيحه لك · هل هو يريد أن يكشف عن أوجه النفاق أمام الحاكم التترى والسلطان الظالم ؟

ان حجا أخاص من أى نفاق ، فهو يقرر ما يريد تقريره بصراحة موجعة تضحك الظالم الطاغى فيزداد ظلما وطغيانا ، أو على الاقل يزداد طغيانه وظلمه وضوحا وجحا فى آخر الأمر ، رجل لا ينافق بقدر ما يتحاشى ، وهو لا يتردد فى كل حال عن أن يؤكد أن حكمته على ما يفعل لا يختلف عن حكم الناس ، أى أنه يعترف قبل أن يتهمه أحد بأنه ينافق · ليست المسألة اذن مسألة نفاق ·

هنـاك ألـم فاجـع يتخـلل الكتـاب ، ومـرارة تتجاوز مرارة الحكم الخلقـى البسـيط بالسـوء ، وكأنما يريـد الكاتب أن يقـول ان الارغـام الـذى يحسـه جحـا فى تجربته مع تيمور لنـك هو جـزء من مرارة الوجـود ، فهل هذا هـو ما يريده الكاتب ؟

انـه يدفـع بالمرارة الى ما هـو أبعد منها أيضا ، فلا يكـاد يقررهـا بكل ما فيها من ألـم ووجـع ، حتى يندار ليعيطهـا مؤخرته ، ليقـول ان هـذا « النهيق المجلجل » الذى يـرج الأرض والفضـاء ، سينتهى بمجرد حرفين متتالين فى الأبجديـة ، هما الطاء والظاء ، وهما حرفـان يستهينـان اذا اجتمعا بكل مـرارة وبكل مضمون ، مهما تعقـد أو صعب ٠

وهكذا نجـد أن المضمون لـدى الكاتب على بساطته ووضوحه وترفعه عن الرمزيـة ، ليس مضمونـا بسيطا ، بـل وليس مضمونا واحـدا فقط يمكن صياغته أو الاطمئنـان الى معرفته ٠ انـه مضمون متلـون متعدد المستويات ، يعطـى فى دفعـات قصيرة ، وكأنها حقن تسـحب الـدم من القلب ، وتدفعـه فيه على التوالى ٠

واذا كان هذا وصفـا عاما لمضمون الكتـاب ، فانـه فى الحقيقـة أقـرب الى أن يكـون وصفـا لأسـلوبه ٠ وهذه القربى بين المضمون والأسـلوب هى التى تجعل

الكتاب عملا فنيا فريدا وصلبا ، لا يستطيع النقد بسهولة أن « يصرفه » أو أن يفكه الى أحكام أو تفسيرات ، فلن تكون هذه الأحكام أو التفسيرات الا ملاليم ممسوحة لا تشترى شيئا من معنى الكتاب أو قيمته ·

●●●

فلنتقارب ونقترب اذن فى وصف الأسلوب ـ المضمون ، مدركين مقدما أن كل ما نحاوله هو مجرد ذلك ، أى تقاربه ، وليس فضا أو صياغة لسر الكاتب أو لقدرته ·

ان هذا السر متجمع متكامل فى الدفقات الأولى ، وفى الكلمات والجمل من أول ما نقرأ أو نسمع ·

يبدأ الكتاب بهذه الجملة :

« رأس ضخم مستطيل يرتفع فى الفضاء ، ونهيق يهز الأرجاء » · جملة قصيرة من تسع كلمات منتهية بنقطة قاطعة لا تستكمل أو تتصل ، ولا يأتى بعدها عطف ، أى لا تريد اكمالا أو اتصالا ، ولكنها تفعل الكثير ·

الرأس الضخم المستطيل الذى يرتفع يثير الرهبة بضخامته ، والغرابة باستطالته ، والتطلع

بارتفاعه ، حتى اذا وصلت الى النهيق ، أصبحت الضخامة والاستطالة منظرا معروفا محددا ، وليست معانى مجردة ، وأصبح الارتفاع متجها الى خلق الجو المحيط بالرأس الذى يصدر منه النهيق ، وليس ارتفاعا بصاحبه ، أو تعبيرا عن الاصعاد بالنفس • ان الذى يصعد هو النهيق الذى « يهز الأرجاء » • وعلى الرغم من أن الأرجاء التى تهتز ، تعطيك الاحساس بالمنظر الريفى الواسع ، الا أنه يرغمك على تذكر اهتزاز الذيل ، ويدفع الابتسامة الى شفتيك وأنت تسمع النهيق متعاليا يهز الأرجاء •

هذه البداية الخشنة المنظورة والمسموعة معا ، تبدو متجمدة ، وكأنما لا يمر عليها زمن حتى تأتى الجملة الثانية مباشرة بلا عطف كما أشرت :

« احدى اليمامتين الواقفتين على غصن صفصافة ، لأختها » • وهكذا يتحرك المنظر الخشن العالى الصوت ، الى وداعة متناهية فى يمامتين وغصن صفصافة وحديث هامس بين أختين •

هذه الحركة السريعة المتناقضة بين المشهدين ، خاصة من خصائص الاسلوب فى الكتاب كله ، وهى سمة من سمات تفكير المؤلف ، وطريقة نظرته

للكــون وللأحــدث وللأفراد وللمعانـــى ٠ فالكــون عنده تجتمع فيه باستمرار وفى كل لحظــة ، النبرتان العاليــة والهامســة ، كمـــا تجتمع الخشونــة والنعومـــة ، والغلظــة والحنــان ٠ وعلى العين التى تنظر فيــه ، أن تعتــاد هذه النقــلة ، أو على وجــه أصــح هــذا التزامن ٠

لقــد كنت أود أن أستمر ٠٠ ولكنى أحب أن أســمع معــك ٠

بــدر الديب

« صاحب السلطان كراكب الأسد •

الناس تهابه ، وهو لمركبه أهيب » •

ابن المقفع

(١)

رأس ضخم مستطيل يرتفع فى الفضاء ، ونهيق يهز الأرجاء ٠

احدى اليمامتين الواقفتين على غصن صفصافة ، تقول لأختها :

ــ هذا هو حمار جحا ٠

ــ وكيف عرفت ؟

ــ اسمعى ما يقول ٠

ــ انه ينهق وحسب ٠ وهل أنا مثلك منقوعة فى فقه اللغة ، أحلل وأركب ؟

ــ جوحا ، جوحا ، جوحا حا حا حا

ــ آه صحيح انه ينادى صاحبه ، ولكن هكذا يقول كل حمار ٠

ــ من لم يعرف لغة الحمير يا أختاه ، لا يفرق بين أصوات الحمير ٠

ــ وما أصل الكلمة وفصلها عندك اذن ؟

ــ جحا (بفتح الجيم) يجحو جحوا ، أى خطا يخطو خطوا ٠ فهو « جحا » بمعنى ٠٠

ــ أبو خطوة ٠

ــ تمام ٠ أبو خطوة فى المكان ، بخفة القدم واليد واللسان ٠ يعنى

ــ الحرك ٠

ـ بالضبط • وأبو خطـوة في الزمان ، بخفـة العقل وحسن التدبير والتبرير ، وسلاسـة البلى • يعنـى

ـ اللمض •

ـ عظيم يا خبيرة الفولكلور •

ـ وطبعـا يفضـل المثقف ، أو على الأقـل المتعلم •

ـ كلما عـلا كعب العلم ، كان أخفـى للخطـوة ، وأعظـم للهبرة •

ـ بقي الحمار ، هـل يعى ما يردد ، أم هـو حمار حمار ؟

ـ لعـل لـدى فولكلورك الجواب •

ـ أغلب الظن أنه يعى تماما ، ويصرف النظـر • ايمانـا بفلسـفته العريقة الشهيرة بـ « الأناماليـة » • وانحيازا لخط الاسـتواء ، الذى يسـوى بيـن الجميـع في النهايـة • وايثـارا لسـلامة السـلبية الغائرة ، التى لا يخرجـه منها بعد لأى الا « السك » العظيـم •

ـ لعـل هذا السـك الذى يقاد بـه صحيح تماما • فللحمار اسـمان غالبا عليـه : « حمـار » من حمـر (بفتح الميم) بمعنـى حلـق وسـلخ ، وهما مرتبتان في السك والاهـانة ، وأسلوبـان فى القيـادة والسياسـة • والاسـم الثانـى « عير » (بفتـح فسـكون) ويطلق على الحمـار والوتـد ، ويجمـع بينهما أن كـلا منهما يأخـذ على دماغـه ، والضـارب دون المضروب هو الذى يقـول : آه •

ـ فليتولنا الله برحمته الواسعة ، من مغبة غياب العقل ، الذى يسمونه الديمقراطية ، ما دام الخصم والحكم اثنين فى واحد .

(٢)

سئل جحا :
ـ كيف اكتسح تيمور الأعرج البلاد بهذه السرعة المذهلة ؟ !
قال :
ـ برجله العرجاء .

(٣)

فضيلة الشيخ نصر الدين جالس تحت عمامة ضخمة فى حجم القبة ، هى عمامة القضاء ، يأتيه رجل شاكيا .
ـ يا مولانا ، الثور الأحمر ، وأظنه ثوركم ، نطح بقرتنا فى بطنها ، فقتلها .
رد عليه القاضى فى عدم مبالاة البداهة القاطعة

ـ وما دخل صاحب الثور في الأمر ؟ !
ثم ان هذه دعوى دم ، لا يطالب بها حيوان .

ـ كلا ، اعذرني يا مولانا ، لقد أخطأت في الافادة . بقرتنا هي التي بقرت بطن ثوركم .

ـ ايه .. لقد أشكلت المسألة . ناولني هذا الكتاب ذا الجلد الأسود على الرف ، لأنظر فيه .

ويفقع الجو بموسيقا في لون النفنفه ، أقرب الى موسيقا الشوبشة (*) في الأفراح .

(٤)

سألوا جحا عن الفيل الذي مسح به تيمور تلك البلاد ، قال :

ـ الفيل ، له خرطوم طويل ، يأكل الأخضر ، ويشرب الأزرق ، ثم يمسح بالأصفر .

(*) أن يقول قائد الفرقة النحاسية لمن يدفع له النقوط : « شوبش فلان » ، فتدق له الموسيقا بتحية معروفة ، ويظل يكررها على قدر المبلغ المدفوع ، وهو يلوح به في الفضاء . وأصل الكلمة كما يزعم الظن هو « شنو باشا » ؟ الشامية أي من باشا ؟ فيرد باسم الناقط .

ســألوا :
ــ لا يبقى ولا يذر ؟

قــــال :
ــ ولا صريخ ابن يومين ٠

(٥)

شخير أجش طويـــل ٠ متقطـــع وموقع ٠
الشيخ نصر الدين الشـــــهير بجحـــا ، متمدد على فراشـــه ، مستغرق فى النـــوم ، يتقلب فيصطـــدم بامرأته الى جواره ٠ يرفصهـــا بركبته ، فتتدعـــور وترتطم بالأرض ٠ ترقـــع بالصوت وتنخرط فى بكاء طويـــل ، يتقطـــع ويتنغم ٠ يندفـــع شـــخير الشـــيخ كالقرون الناطحـــة ٠

يتداخــلان ويفترقـــان ، ثـــم يمضيـــان مــــع نقرزان فاقع ، وطبل عجوز أرعن فى اعــــلان الشوارع الشعبية ٠

(٦)

ســلاح المنشـــــار الضخم ، وأسنانـــة التى تشبه

أسنان كبير (١) الساقية ، طالع نــازل ، يشق جــذع جميزة مســجى فــوق الحمير (٢) الأربعة الخشــبية التى ترفعــه على أكتافها كالنعش •

الجذع يحشرج والمنشــار يتوغــل ، فى شبــخير الذبيحــة الخائــر •

من فــوق ، قدمان مفرطحتان ، بكعب يابس مقــدد فى لــون الجــذع وشــكل لحائــه •

ومن تحت طاقيــة بيضــاء شــاهقة مزهــرة ، تستر شــعرا أكــرت حــادا كالأســلاك الشائكــة ، وقــد لبــدت عليــه حبات النشــارة ، كفصوص ملــح وســخ ، أو نــدى عكر •

المنشــار طالع نازل ، وصــوت مزيت ســالك ينحدر من فــوق • يتقلقل قبــل أن يهمــد فى حجــر أذن مفرطحة متدلية مثل ليــة الخروف •

ــ خــد عنــدك يا معلمى آخــر نوادر جحــا •

ــ هــات يا أم قويق * الخراب •

ــ جحــا بعد ما رفص امرأته ، ووقعهــا من السرير ، وكسر لهــا سنة ، غضبت على بيت ابوهــا • عمنــا

---

(١) الترس الكبير المستلقــى ، الذى يديــره الثــور اول ما يدير ، ليدير بدوره « الصغير » وهو الترس القائــم الملتصق بالطنبوشــة • ليديرها حتى تخرج المــاء •

(٢) القوائــم •

(*) هى البومــة •

جحا لما احتاس في عيشته ، قام يصالحها • وراح واخد أبوها على مشمه : أنا لا أطلب منك غير النصفة • أنا واحد معى زوجتى المرحومة • نبقى كام ؟

ـ اتنين

ـ وبنتك ، بقينا كام ؟

ـ تلاتة

ـ وزوجها السابق

فيرد المعلم النشار

ـ أربعة •

وأظن فرشة واحدة لراجل درويش مثلى ، لا تتسع لأربعة أشخاص معا • عشان كده تدعورت • ما ذنبى أنا ؟ !

وتندلع موسيقا الشوبشة •

(٧)

كان راكبا حماره ، وكلما صادف الحمار زبله وقف يشمها ، ويمسك بشفته العليا أريجها فى أنفه مستغرقا متسلطنا على عادة الحمير •

فلم يكن من جحا الا أن نزل ، وجمع شيئا من الزبل ، جعله فى مخلاة الحمار وعلقها برأسه •

وتضايق الحمار كثيرا ، وحاول جاهدا خلع المخلاة عن رأسه . قال له جحا :

ـ عجبا ، ماذا أصابك ؟ أنت أعجبك الزبل ، وأنا ملأت لك منه ؟ !

(٨)

جاءت الوفود جحا مستجيرين . قالوا :

ـ بعد أن استوى تيمور لنك على العرش ، أرسل يستدعي العلماء والمستنيرين وذوى الرأى ، ويسألهم : « هل أنا عادل ، أم ظالم » ؟ فمن قال بالعدل ذبحه ، ومن قال بالظلم ذبحه ومن قال بالعدل والظلم معا ذبحه . لن ينقذنا من هذا المجنون غيرك .

ـ ليكن فى علمكم أنى ان استجبت لكم ، قامرت مع هذا السفاح المجنون برأسي .

ـ نحن نعلم ذلك يا مولانا ، ولكن لا أحد فى البلاد أوتى ما أوتيت من جواب سديد ، وبديهة حاضرة . لا أحد يجيد اللعب على الشناكل غيرك .

ـ يا أسيادنا البعدا دى شناكل السلطان

ـ ودى لعبة جحا المفضلة .

ـ ياخلق هو دى لعبة الموت .

ـ والحياة على البحرى يا سيد العارفين .

ازيز مئات العصافير على الدوحة ساعة الغروب .

(٩)

ـ يا جحا الحمى جيالك
ـ فاضي واترعش لهـا
شـنشـنة طـار .

(١٠)

وبكل حرص وحيطـة ، جـاء بحماره الى مقـر السلطان . وفى ركـن لمـح طبـلا كبيرا ، ربـط فيه حماره . وفى الحـال مثل بين يـدى السـلطان الدموى . ساله السلطان

ـ هـل أنـا عادل أم ظالم ؟
ـ أنت يا مولاى ، لسـت ملكا عـادلا ، ولا ظالمـا . فالظالمون هم نحن ، وما أنـت الا سـيف العـدل الذى سـلطه الله على الظالمين .
ـ عفـارم .
نهيق حمار جحا يرج المكان .

* * *

بالخارج شـد الحمار برسـنة الطبل الكبير ، فانقلب على زلطـة واحـدث دويـا . جفـل لـه الحمار ،

وأخـذ يجرجره . وكلما تدحرج ازداد دويه ، وازداد الحمار خوفـا وركضـا .
وجفلت البغـال ، وجفلت الخيـول ، وجفلت الأفيـال ، وقامت القيامة .

* * *

وبالحمار دخلوا الى السلطان
ـ هذا هو الفاعل .
ـ رأسـه ورأس صاحبه على صينية فى الحال .

قال لـه جحـا على الفـور
ـ ولماذا أحرم من رؤيـة هذا المشهد الفريد يا مولاى ؟
ـ ومن حرمك ؟
ـ أنت يا مولاى .
ـ اجلس لترى ما تحمل الصينية .
ـ أهو أمـر سلطانى لا نقض فيه ؟
ـ نعـم .
ـ اذن لن تأتى الصينية .
ـ لقـد أمـرت .
ـ وبأمرك يا مولاى لن تأتى .
ـ (مقطبـاً)

ـ آخـر أوامرك يا مولاى ألا أتفـرج على رأسى .
أنـا صاحب الحمار . والأمـر الأخير فى كـل شريعة يلغى الأول . بأمـرك يامـولانـا الذى

لا تجرؤ قــوة فى الأرض على مخالفتــه وعصيانه ، سوف أخــرج برأسى فــوق عنقــى وبرأس حمارى ٠

ــ رأســك نجــا اليوم مرتين ٠ أنت من اليــوم تدعى بــلا موعــد ٠ عفــارم ٠

نهيق مجلجل متواصل ٠

(١١)

جحــا عند مزين قمىء يحلق ذقنــه ، والموسى الى خــده ٠ وكلما حــرك المزين الموسى جرحــه ، ووضــع قطنــا ٠

جحــا ينهض منصرفــا ٠

ــ اصبر حتى ننتهى ٠

ــ كفــاك ، فقــد زرعت نصف ذقنى قطنــا ، وأريد أن أزرع الآخر كتانا ٠

(١٢)

مجلس تيمور ، واحدهم يدخــل ســاحبا رســنا من فضــة فى آخــره حمار حصــاوى صغير محندق ٠ ويحــل سهم الصمت على المجلس ٠ ويفلت صوت ٠

ــ حمار يا حمار ! ؟

ثـم آخـــر

ــ خيبك الله من حمار !

وصمت يقطعه صــاحب الحمار

ــ مولاى ، أنت تملك قطعــان الفيــلة العظيمة ، وأنجب الخيـــــول ، وأقــوى البغــــال • ولكن هــذا حصــــاوى صغير أمــرد • فكـرت ربما راق لمولانــا أن يقتنــى هذا المخلوق الصغير الوديـــع • هل يتفضل مولاى ويقبل هذه الهدية الصغيرة ؟

وينظـر تيمور مليــا ، ثـم يشرق وجهه بالبهجة •

وكان أسبق المتحدثين ، من ســخر من الحمار وصاحبه •

ــ أمــا عليــه جوز عيــون ، قشر الغــزال • كحل ربانــى • دول حينطقم • شــوف الكعب ، الله ، داكعبه محنى • الاش الديل ، داشــعره مسبسب • شوف الجمال ، شوف الدلال ، شوف الغندره •

ــ بالتأكيد هذا حفيد الحمار الذى ركبه ســيدنا عمر فى الشــام ، وحفيد حفيد الحمــار الذى ركبــه سيدنا عيسى وأمــه من الشام الى مصر •

وجــاء الدور على جحــا

ــ أرى أن هذا المخلوق المليح يبشر بالكثير ، وأملــى أنه ربما يتعلم القراءة •

قــال السلطان

ــ اذا علمته شـــيئا من ذلك ، فانى افيض عليك بالعطايا والنعــم • واذا لــم تقــدر ، أطـــرت عنقك جــزاء النطـــق بالكذب فى حضرتنـــا •

ــ أمهلنـــى يا مولاى ثلاثة أشـــهر • وامنحنـــى نفقــات كافية •

أزيز مئــات العصافير على الدوحة ســاعة الغروب •

(١٣)

ســـئل جحـــا

ــ اذا مشى الرجل فى جنــازة ، هل يمشى وراءهـــا أم أمامهـــا ؟

ــ لا تكن فى التابــوت ، وامش حيث شــئت •

(١٤)

ذهب جحـــا مع رفيق يصطـــادان الثعالب ، فرأيـــا ثعلبـــا كبيرا يغطية فــرو عظيــم ، وأخـــذا يطاردانـــه حتى دخل جحــره • فلحقـــه الرفيق ، وأدخل رأســـه

وراءه وانتظر الشيخ مدة فلم ير الرجل تحرك ، فسحبه ، فرآه من غير رأس ٠

وفكر جحا واستغرق فى التفكير قليلا ، ثم أسرع الى البلدة الى دار رفيقه يسأل زوجته
ــ عندما خرج زوجك صباحا ، هل كان رأسه معه أم لا ؟

(١٥)

بعد المدة المضروبة ، دخل جحا خيمة السلطان آخذا برأس الحمار مملسا ، ثم رفع يده ، فاتجه الحمار رأسا الى المائدة الصغيرة التى تتوسط القاعة ، والى الكتاب الكبير الذى استلقى فوقها ٠٠ مد بوزه ، وبلسانه أخذ يقلب صفحاته ٠ ثم يترك الصفحات ناظرا صنوب الشيخ نصر الدين ، ثم ينهق فى أسى ٠٠

وطار تيمور بالفرحة ٠ وسأله ٠

ــ وكيف علمته ؟

ــ اشتريت مائة رق من غزال من أجسن أنواعه ، وسلمتها الى المجلد ، فجعل منها هذا الكتاب الذى يليق بضخامة رأس الحمار ٠ وكنت أجيعه وأرش

الشعير بين أوراق المجلد ، وأقلب له صفحاته . علمه الجوع أن يلتقط حبات الشعير ، وأن يقلب الصفحات ويلتقط . وأحيانا يغلب عليه طبع الحمير ، فأعيد الدرس ، الى أن أتقنه . وكنت أحيانا لا أضع الشعير بين الأوراق ، فكان يقلبها دون أن يجد شيئا ، فينهق كما رأيتم .

وقال جحا لنفسه : حيا الله الجوع الكافر . المعلم الأول .

قال السلطان

ــ عفارم ، أنت قرداتي .

ــ بل انا يا مولانا حماراتي .

وخرج جحا محملا بالهدايا ، وغراب من فوقه ينعق . تطلع اليه ثم قال :

ــ وعملتها يا غراب البين ؟ ! ولكن دا بعدك . ده يا حبيبي عرق جبينى .

ونعق ثانية

ــ يا حبيبي عيب ، دانا بالعب بالبيضة والحجر .

وثالثة

ــ قل موتوا بغيظكم .

ثم لنفسه : ماداهية الا تيجي الطوبة في المعطوبة . للغراب

ــ واللا اقولك : حقك على .

لنفســه : وش النحس ده يعملها •

للغــــــراب

ــ ولا تزعــل ، أنــا حاشــوفك بحتــة دين صابونه ، تحلف بها العمر • يا لله يا عم زقطط ، وليمة جـت لك من الســما •

(١٦)

ــ منذ برهــة ، رأيت فى الطريق يا جحــا ، دجاجة رومية محشوة بالزبيب والصنوبر ، واثنين ذاهبين بها •

ــ وما يعنينى ؟ !

ــ ذاهبين بها اليك •

ــ وما يعنيك ؟ !

(١٧)

لماذا تأكــل باصابعك الخمس أمام الناس يا جحا ؟

ــ لأنــه ليس لى ست •

(١٨)

قــام الشيخ نصر الدين واعظا ، فقال :

« أيهــا المسلمون ، احمدوا الله تعالى واذكروا فضله ، أن خلق الأفيــال بلا أجنحــة ، فلو أن الأفيــال طــارت ، لهبطت على ســطوح بيوتكم ، فخرت فوق رءوسكم » .

(١٩)

دقــات طاحونــة المركز تمــلأ الغرفــة . تختفــى وتعلو وتهبط وتتلون حسب تداعى الموقف .

جحــا متربع على السرير يطيــل النظــر الى عسكرى شباك السرير دون أن يراه . وابنه كماشة راكب قاعدة الشباك ، واحــدى رجليه فى سماء الشارع والأخــرى فى الغرفــة . وكأنما يمتطى حمارا عاليــا مخصيا ، وخيزرانته الرفيعــة الملسوعة فى يــده .

ــ أبى ، ما رأيــك فى تيمورك الأعرجن ؟

ــ شــايل الدنيا فــوق رجله العارجة .

ــ لماذا تخليت عن فلســفتك التى تاكــل بها عيشك ، ولــم تقــل للأعــرج أنت أعــرج فى عينــه ؟

ــ للضرورة أحكام يا ولدى أو أتريد أن أيتمك ؟

ــ تيتمنى ، أم تفقــو رأســك ؟

ــ يا كماشــة ، اتــرك هذا المسمار العائلــى ، لأنه يعــــور :

ـ لماذا تقول للسفـــاح الأعظم « أنت سيف العدل » ؟

ـ حتى أوقف نزيف الرقاب ٠

ـ كيف تقول لظالم الظلمة اننا نحن الظالمون ؟ !

ـ حبكـة كـلام ٠

يدخل صوت الطاحونة خافتا ٠

ـ حبكـة كـلام هـى التى تقنن للظالم ظلمـه ، وتغريـه بالتمادى فيه ٠ كان السـفاح يقتـل عفـو الخاطـر ، فأصبح القتـل بعـد « الحبكة » صـوت السماء فى أذنيـه ٠

ترتفـع الدقـات حـادة ٠

ـ يا كماشـة يا ولدى ، بحبحها حبتين ، الحياة لاتحمل على الأكتـاف ، الحيـاة مطيـة تركب ٠ يا بنى اركب معنـا ولا تكـن مع الجاهلين (*) ٠ اركـب الموجـة يا كماشـة ، طاوعنـى قبـل أن تغـرقـك ، لا تكـن خنفسـاءة ضـد التيار ٠ الحيـاة هى أنـا ، هى الأنـوات ٠

ـ بـل هى أنـا وأنت وهم ٠ هى الجموع ثـم الجميـع ٠

ـ هـذه هى الحيـاة المسـطورة فى القراطيس التى تبيـع اللب ٠ ما الفلسـفة الا رفاهيـة يا كماشة ، ان شـبعوا غنـوا وتفلسـفوا ٠ الآدمى اما آكـل

(*) الجهـل هنا كما فسر الشـيخ نصر بعدها ، ضد الحـلم وليس العلم ٠

أو مأكـول • بت غالبـا يا كماشـة ، الحيـاة صراع الكائنـات ، وليسـت صراع الطبقـات كما تقـول مدارس الفرنجـة المسـتجابة التى خربت رأسـك ، وجعلت كماشـتك عمالـة على بطالة •

ــ اشمعنـى مستجلبات الجسـم دحـه ومستجابات العقـل كخه ، لماذا هذه الفرقـة بين الجسـم والعقـل مع أنهما لا يفترقـان الا بالموت ، ورافض مستجابـات العقـل هو المقبـل على مستجلبات الجسـم ؟ !

ــ لأن رافض مسـتجلبات الجسـم هو المقبـل على مستجلبات العقـل • دقـة بدقـة يا صاحبى • أنت تـرى الجنـة فى العقـل ، وأنا أراهـا فـى الجسـم ، والجسـم انـاء من خزف خيامى ، يضـم سـائل العقل الهلامى •

تدخل دقـات الطاحونة مسرسعة •

ــ وما رأيـك فيمن يقبل على الاثنين معـا ؟

ــ هؤلاء هم التجـار ، وأخطرهم من انتدب فى فرع العقـل • صناعتهم الكـلام بالكيلة والويبة (*) • ليس لهم سـجل تجارى • وأخطـر هذا الخطيـر من عمل مداحـا يحمل الرق على بـاب السلطان • أو طبـالا أو زمارا يلحن ويغنـى حسـب الاسـتعداد الفطـرى • ومنهم ركـاب الآلات من الكتبة والباشكتبة ، يوسعون السكك للسـلطان بما يدبجون ، ويبررون

(*) مكيـال سـعته كيلتـان ونصف الكيلة •

لما يقف فى الزور من كلامه ، ويزخرفون له الأبهة ٠

ــ بالونة منفوخة على الفاضى ٠

ــ الا أنهم ينحبس دمهم ، ويبلون سراويلهم كمدا ٠ يحدث كثيرا أن يمشى السلطان فى سكة ، وهم من بعيد أمامه يطلقون النفير ٠ ثم لأمر ما طارىء ، يغير السلطان من طريقه ، واذا بالمساكين الذين يصعبون على الكافر ، هناك فى شظف المؤخرة ٠

ــ أنت أبى خبير سلطانى ، تتحدث من أم رأس هذه الانواع الدنيئة من البشر ٠

ــ يا كماشة لا تلق القاذورات على التجار ، لأن ذلك يوسخ ثيابى ٠ والتجار اليوم هم البلد ٠ لم يبق أحد ينتج ما يتاجر به التجار ٠ والصفوة منهم اتجهت الى الأعراض والمبادىء ، فجعلت منها مهنة المهن التى ترخ الدنانير ٠

تحدو الدفة ، ويبدى [illegible] [illegible]

ــ جراد شره ٠

وعلى الدفة

ــ نهازون ٠ قفازون ٠ ضرابون كل الأوتار ٠ الثور البخارى يعمل يوما فى طحين الناس ، وبقية الأيام فى طحينهم ٠

ــ يا أبى لقد أوتيت العقل والحكمة والرؤية النافذة ٠ الى متى تظل تمشى على كل الحبال ، وتضرب كل الأوتار ؟ ! لماذا أنجيت رقبتك باستباحة

رقاب الناس فى المذابح المقدسة الآتية ؟ !

ــ يا ولدى ، لقد اختارنى الناس لترويض السلطان ، والمروض ان غفلت عينه لحظة ، فقد حياته . أنا أعمل فى سيرك السلطان . شهر زاد فى حضرة شهريار .

الدقات المحمومة

ــ أنا يا ولدى محكوم على بالاعدام ، كل يوم على أن ألعب على حبل جديد يرجىء تنفيذ الحكم . واللعبة ، قاسية ، مسنونة ، ملغمة ومتعطشة .

ــ وما زنقك على هذا المر ؟

ــ الأمر . كتب على أن أغمس لقمتى بيدى من فم النمر . شف يا ولدى اما أن تكتسب المجد بعد موتك ، وهذه مسألة غير مضمونة العواقب ، لأن التاريخ اليوم موش فاضى لك . الموضة أن يشحططه السلطان معه ، وعين على لآلىء كلامه المنشور والمأثور ، والعين الأخرى على ريشة التاريخ . أما الجغرافيا والأرض والبحر ، التى تجلب التاريخ طائعا ، فقد راحت فى الرجلين . أتعرف عمك أبو المجد يا ولدى ؟

بائع البوظة ؟

ــ انه أبو المجد بحق وحقيق . أخذها من قصيرها وسمى بوظته الواصلة الموصلة « المجد » وهو أبوها « أبو المجد » . لم يقف للتاريخ فى طوابير

الانتظار الطويلة العريضة • التاريخ موش فاضى لك أنت ومجدك • الأصح يا ولدى أن تكسب المال فى حياتك • ساعتها يتمرغ المجد فى تراب أقدامك •

ــ وبعد الموت ؟

ــ عصفور فى اليد يا ولدى أضمن • لا تقاوح ، ولا تصادغ ، وبلاش تبات •

ــ أبى أنت من مدرسة الدنيا المزفلطة •

ــ خطئى فى حياتى أنتى سميتك كماشة بدل قرموط •

وتدخل امرأة جحا

ــ وهو فين القرموط ده ؟ دا الواحد بيتنشق على صنية قراميط •

وتتلفت مشمشمة

حاكم انتوكده يا رجالة الزمان ده ، ما حيلتكوش غير الغلبة • فشر النسوان •

ــ بس يا قطة • انتى ما تجيش الا على الزفاره ؟

ــ عشان كده جيت لك •

دقات الطاحونة مسرسعة مغرفشة •

(٢٠)

سأل تيمور جحا

ــ الى متى يلد الناس ويموتون ؟

ـ الى أن تمتلىء النار ٠
ـ والجنـــة ؟
ـ غرف مفروشـــة تسليم المفتـاح ، اكراميـــــات للموعودين ٠

(٢١)

الأفيـال تذرع الساحة بخطـــى حرة وسريعة وحينما يصـل الواحـد منها الى الحافـة ، يرفـع خرطومه ويديـه الى أعلـى فى شهيق طويل رشيق ٠ ثـم يهبط على اليسرى وحدها ، تمس الأرض فـى خفـة راقصـة الباليه حتى لا تكـاد تشعر بها الأرض ، ثـم يتبعهـا اليمنـى مع الخرطوم ، يضرب بهـا الأرض فى اتجـاه اليمين ، ليستدير ويسـتأنف الدورة ٠

الســاحة أشـبه بصالة ألعـاب ضخمة ، وكـل واحد عاكف على تمرينه الخاص ، دون أن يصطـدم بعالم غيره ٠

(٢٢)

فى داخـل خيمة الملك بصـدر الســاحة ، يجلس تيمور ، والحاشية من حوله ٠

يدخل جحا قائلا فى عجلة

ــ الأفيال يا ملك الزمان

ــ ...

ــ الأفيال قلقة يا ملك الزمان .

ــ ...

ــ الأفيال عندها توتر عصبى .

ــ ...

ــ الأفيال فى حاجة الى أجازة واسترخاء .

يتطلع ، فيرى الجو مكهربا .

يخفت صوته ويستطيل ويستبين وهو يشم رائحة الخطر .

ــ الظاهر يا مولاى ، أن القلق والتوتر العصبى ، عندى أنا .

ــ ...

ــ عندى أنا وليس الأفيال لا سمح الله .

ــ ...

ــ كل واحد يرى الدنيا بعين نفسه .

ــ ...

ــ عينى القلقة المتوترة ، ظنت الأفيال هى القلقة .

ــ ...

ــ أنا يا مولاى ، دون أحد سواى ، الذى فى حاجة الى أجازة . اسمح لى بالانصراف .

ــ وما رأيك يا شيخ نصر الدين ، أننى سأتفضل عليك ، وأمنحك أجازة أبدية .

وترمش عينا جحـا مرددا

ـ أبديـة !

ويتماسـك وينبسط قائـلا :

ـ لـى وصيـة ، أرجـو أن يتفضل مولاى ويتعطف ويأمـر بتنفيذهـا •

ـ •،•،•

ـ أن أدفن يا مولاى فى قبر قديم

يمط الملك شـفتيه • يقـول جحـا فى عقل باله : « هناك شـكة أمل » ويستأنف

ـ حتى اذا مـا جاءنى ملكـا المـوت : منكـر ونكير ليسـألانى ، أجيبهمـا أنى قديم العهد هنا وأنـى سـئلت من قبل • ومتى نظـرا الى قبـرى ، رأيـا فيه مصداق قولـى ، فيتركانى وشأنـى ، وأنجو من المرزبـة •

ـ لك ما طلبت •

واصفر جحـا واكفهر •

ـ فى الحقيقـة يا مولاى ، أنا ما قصدت الا أن أفيالكم الجبـارة ، قلقـة الى القتـال ، متوترة الـى الدمـار ، تواقـة الى نشر الخراب •

ويختلس نظـرة الى تيمور ، فيلمح نبـرة ارتيـاح يختلج بها وجهـه • فيوغل

ـ حتى تدين لك الدنيـا والدانـى ، ويصبـح صوتك هو الأوحـد ، يرن فتردده المشـارق والمغارب •

ونظـرة أخـرى تقـول لـه فى عقـل باله : «أنـا

الآن فى بر الأمان · يا مهوش ، أسه سنة ، على أن أهرش بلاطه قلب هذا السفاح ، حتى يرق للنبى · ويلقى بهذه القشرة ·

ـ فى الحقيقة يا مولاى ، أنا اليوم ما مثلث بين أيديكم ، الا لأوصل صوت القرية الى مسامع جنابكم · اعترافا بفضل أياديكم البيضاء عليها ، وتعبيرا عن ولائها لأعتابكم · يسعدها ويثلج قلبها ، أن تستضيف فيلا من أفيالكم العظيمة ، يرعى فى حقولها ، فى اثناء الأجازة التى طلبتها لها ·

والنظرة الثالثة الى وجه السلطان ، يقول لعقل باله ((أحسن كتير ، إحنا كنا فين مع هذا السفاح الدموى أبو عقل مقطوش » !!

ويأتى على نهاية القشرة العظمى ، بينما صياح بومة وعواء ذئب يتداولان بالخارج ·

ـ هل تتقبل أعتاب مولانا ، أن تولى القرى فى البلاد الخاضعة كلها ، هذا الشرف العظيم ؟

ويعوى الذئب ·

ـ سنتفضل على القرى كلها ونوليها هذا الشرف · اجلس ·

ويخاطب جحا عقل باله وهو يجلس ، وصياح البومة ينساب بالخارج : « دلوقتى بقى يا فتك ، افرد قلوعك وافرش وخد راحتك · لقد غار عزرائيل » ·

* * *

يقـول تيمور وهو يسدد النظر الى جحـا

ــ تعلم أن الخلفـاء ، كان لكل منهم لقب يختـاره لنفسـه بعد أن يتولى الحـكم ، مثل «المتوكـل على الله » و « المعتصم بالله » و « المستنصر بالله » • لـو أردت يا شيخ نصر الدين ، أن أختـار لنفسـى لقبـا ، فما يكون ؟

ــ « نعوذ بالله » يا مولانـا • مولانا « نعوذ بالله » •

ــ عفـارم •

ومن الخارج يأتى صـوت واحـد من ذوب الضباح والعواء معـا • ثـم يتداخـل صـوت تيمور لئـك

ــ عفـارم •

ــ يا حضرة الشـيخ ، ما يكـون نصيبنا يـوم القيامة ؟ هـل يكـون مقامنـا فى صـدر الجنـة ، أم فى عين النـار ؟

ــ ولماذا يشـتغل قلب جلالتكـم بهذه المسألة ، ويشـتعل بالوساوس والظنـون ، والمسـألة واضحة كالشمس ؟ ! لا يكـن عند عظمتكم ريب ، بأن حضرتـكم الجنكيزية ، وهولاكـو الملوكيـة ، متى أتممت أنفـاس الحيـاة المعـدودة ، تأخذ يا مولانـا « نعـوذ بالله » بسبيل جهنم بالطبـع ، وتجلس على التحقيق فى عين النـار وصدرهـا ، مع أمثـال جلالتكـم من الملوك ، كفرعـون والنمروذ وذى القرنين وجنكيز ومن ما ثلكم ، بكتـل وقـار واحترام •

ويدخـل صـوت الطبـلة التى تسـيب الوسـط ، وتلعب الحاجب •

تزحلق الصـوت على أسنان المنشـار العريضـة المتحركـة ، وانزلق منشطرا نصفين الى صحنـى الأذنين .

ــ رقبـة جحـا قعدت تتهشتك امبـارح علـى كف عفريت .

ورد المعلم من تحت

ــ ابن جنيه . قرد مسلسل . ده بسبعة ارواح .

ــ بسلامته اشترى رقبته من السلطان ، ومن جيب غيره . مـد ايـده فى جيوب الفلاحين وسابهـا تصفر . قـرط لهم الزرع الأخضر اللى حياتهم . الأفيال حتمسـح وتباط .

ــ عقد البيع منصـوص فيه الزرع الاخضر ، والا اللون الأخضر يا أخضر العين ؟

ويوقف المنشـار محدقـا فيه بعينيه الخضراوين

ــ وطـى صوتك يا معلم . دا لـو عـرف يعملها . نعـوذ بالله يعملها من باب التسالـى . وأنا ذنبى ايـه ؟ !

ــ ذنبك ؟ وهى السـلطنة تدور على السـبب ؟ أمـا عبيط ! . طب دا لـو كـان فيه سبب ، ما كانش حـد غلب . كان بقـى هو ده العـدل والملك والسلاطين ، اللي بترويه الحداويت .

ـ يبقى مفيش غير راس جحا ٠
ـ راس جحا النهارده ولا راس فجله ٠
ـ دى اللعبة كبيرة قوى ، هو السلطان ده يعنى مالوش كبير فوق السما ؟ !

ـ سمة مين يا زبله ٠ دى السلطنه تدور أجعص دماغ ، السلطان على العرش مستوى ومستمخ ، لا يخاف أرض ولا يختشي من سما ٠ واللى يختشى منهم ، بعد ما يجز الراس ، يكرمها بمقابلته على صنيه فضه ويعمل معاها سين وجيم ٠ وده هو الامام العادل ٠ اللعبة النهارده ماسكة فى الراس الكبيرة الخضرا يا بوعيون خضرا ٠

ـ امسك المنشار يا معلمى ، وخلينا فى فى شغلنا أفيد سبنا فى حالنا ٠ احنا مالنا ٠ دى موش لعبتنا ٠ وتروح فين يا زعلوك بين الملوك ؟ ! ربنا يديم علينا المستحد ونقطة الزيت ٠

ـ آه يا خانوتى شجر ٠

ويمضى المنشار فى ثرثرته الطويلة الخشنة وهو يقرش قلب الجذع ٠

(٣٤)

جحا فى الغروب ، يقلع شجرة ، ويدخل بهنبا الى بيته ٠ امراتـه ٠

ـ أنت جرى لعقلك حاجة ؟ تنزعها الصبح ، وتقلعها المغرب ؟ !

ـ يا امراتى يا عزيزتى ، اللدمم خربت ، والبلد ايدهـا طولت ، وعلى كل انســـان من باب الحيطـة ، أن يجعل ماله تحت رأسه • من يعلم ما يحدث ؟ !

(٢٥)

ســـئل جحـــا

ـ هـل يولد لرجل عمره مائــة سنة ولد ؟

ـ بالتاكيد ، اذا كان له جار عمره عشرون •

(٢٦)

قــال جحـا لامرأته وهو يناجــى القمر الموهــوم ، وعينه على الشباك المفتــوح

ـ يا بدر يا قمر ، جـة وقتــك • ماك يزورك غدا • قــوم ادبــح الوزة ، وطقطق الصوابع الناعمة ، اللــى ربــك مخبى فيهم مستقبلنا • ما عــاد لكش حجة • قــوم نور ولعلع فى سماك السابعة •

ـ وكل الكــلام الحلو ده مخبيــه جــوا لنسانك ؟ !

ما انتاش خايف عليه ليحمض والا يعت ، والا يقرضه الفار ؟ آه من جنس الرجال !

ــ ما تنسناش ياقمر ، ان كل وقت وله أدان ، وان انا وانت ، زى حبة الترمس ، فلقتين جوا غطا ، انت فلقه ، وأنا فلقه ٠

ــ يا شيخ ، بلا فلقه ٠ دا عمر القرد ما يبقى غزال ٠

ــ يا غزال البرية ، يا شق القمر ، جايلك ملك ، غدا على الغدا ٠

ــ يا ريت يا شيخ تعزم لنا كل يوم ملك ٠

ــ ان لقينا اليوم ، ما نلاقيش الملك ، وان لقينا الملك ، ما نلاقيش العزومة ، وان لقينا اليوم والعزومة والملك ، ما نلاقيكش انت يا ملك الملوك ، يا سلطان زمانك يا ملك ٠

(٢٧)

سئل جحا

ــ اذا دخل القمر الجديد ٠ فأين يكون القديم ؟

ــ انهم يقطعونه ويصنعونه نجوما : أو يدخرونه للشتاء ليعملوا منه البرق ٠

(٢٨)

وفى الموعـد أتى وحـده • هبط كالصقر الأخرس ، خطف الوزة المحشـوة ، وطـار ، وخلفـه حبـات عيـون امرأتـه •

وبعد أن قطـع شوطا ، نظر الى الوزة وقال بأسى :

ـ ايـاك يطمر • ناس تربى • وناس تاكـل • على الله تصطادى يا سنارة يا مطعمة • يا حسـنة يا اللى حتجيبى عشر أمثالك •

ورآه أحـد المـارة • سأله

ـ انت بتكلم مين يا سيدنا ؟ !

ـ باوعـى الست الهانم اللى رايحة تقابل السلطان •

ـ لا حـول ولا قـوة الا بالله ، اللهم الطف بعبادك يارب ، الناس ماشية تكلم نفسها •

وقطـع شوطا • وزعقت عليه عصافير بطنه •

ـ آه ، كله الا كـده ، ده موش وارد ، أنا فى عرضكم ، دى الجايات أكتر وأحسن • يا عصافيرى ، اعملـوا معروف سيبونى فى حالى ، وما تلخبطوليش غزلـى •

ومـرة أخـرى تزعـق العصافيـر فى سرسـعة متصلة ، وتمتد يـده تملخ الورك •

ولمـا رأى السلطان نعوذ بالله الوزة ناقصة وركـا ، سـال جحـا

ـ وأين رجلها ؟

قال لتيمور الأعـرج

ــ أصل وز الناحيه كله أعرج ، أقصـــد يا مولانا برجل واحــدة • واذا لــم تكن تصدقنـــى ، فانظـر الى الوز على ضفة البحيرة هناك •

كان الوز واقفـا يتشمس على سـاق واحـــدة ، ورأســه فى صــدره كما هى عادته •

وتظاهــر السلطان بالاقتنـــاع ، وأصــدر أمـــره خفية الى الموسيقا السلطانية بأن تقتــرب من البحيرة • ودقت الطبــول ، ففزع الوز وتفــرق فى جلبة •

والتفت تيمور الى جحــا وقال بغلظــة •
ــ تكذب على يا خسيس ؟ ! ها هو الوز يمشى على اثنين • رجلك فى مقابل هذه الرجل •
ــ ولكنك يا مولاى نسـيت أن الرعب يأتـــــى بالمعجزات • لو أن الرعب استولـــى عليــك مـــرة يا مولاى ، لمشيت على أربع •

يشق الفضـــاء أصــداء صياح الوز الفزع •
ومن الصباح الباكــر مضى الناس يصححـــون الواقعـــــة فى لهفــــة وسريــــة أنكى من أى علن :
« الأعرج يمشى على ثلاث ، لا أربع »
وكلما قابل أحد جحا سأله
ــ وجبت الرابعه منين يا جحا ؟ دا الأعرجن بتلاته بس يا جحــا !
راحت عليك يا جحا يا ورك الوزة •

(٢٩)

جحـا يصلى رافعـا رجله اليسرى عن الأرض ، والناس من حوله يتفرجـون . وبعـد أن ختـم صلاتـه ، قال لهم :

ــ كيف أضـع قدمى اليسرى على الارض ، وهـى غير متوضـئة ؟ اذا كان المـاء لـم يكف ؟ ! ايـه .. بضـله (*) ؟ !

(٣٠)

سـمع الشـيخ نصر الدين بأن تيمور لنك رأى فى منامـه رجـلا أزعجـه فقتله ، فأسرع الى أشـيائه يجمعها ، ويفـر الى بلد آخـر .

سأله أهـل بلـده

ــ لماذا تركـت الرجل ، وقـد وافـق نجمـك نجمه ، وهو لا يغضب منك ، وذهابـك يا مولانا يضر ببلدك ؟ !

أجابهم الشـيخ

ــ فى اليقظـة كانت المسـائل تبدو واضحـة بكل أطرافهـا تجمع فيها وتطـرح ، كنت أدبـر كـل مسـألة بعنـاية الله حسـب ما يلزم ، وأحتـاط

(*) بدمـة .

وأحترس • واليـــوم تتخفى المنـــائل فى ضــباب الهــوى والأحــلام وحــراب النزوات • اليــوم يريد أن يدخل بى تلافيف مخــه وفيضانات دمــه ، وهــو خطــر عظيــم وخيم العاقبة • الفرار الفرار يا قومــى من تأويــل رؤيــاه •

(٣١)

كان أحدهم فى مجلس جحـــا ، فخــرج منه صوت ، فخجل وأخذ يضرب خشــب الأرض برجله ، أمـــلا فى اخفــاء صوته • فقال لــه جحا

ـ ان أنــت أخفيــت الصــوت ، فما أنــت فاعــل بالرائحــة ؟ !

(٣٢)

ســئل جحا عن دواء للعين المريضة •

فقــال :

ـ أمس وجعنيــي ضرسيي ، فلم أجد وسيلة إلا قلعه •

(٣٣)

كلما ذهب جحا وتلميذه حماد الى قرية ، ولاذا بجامعها وقـال جحـا للمصلين عارضـا نفسـه ــ الدنيـا رمضان ، وأنتـم فى حاجـة الى واعظ ينجـد لكـم الطريق الى الجنـة • دنيـا وآخـرة • والقـرآن المجيد مغسـل وضـامن جنة •

يردون

ــ أنت شرفتنـا • والقرآن المجيد أنت زدتنا شرفا • سبقك اليها عالم • اتفضل •

فيخاطب جحـا نفسـه وهما منصرفان

ــ تافين فى بـق بعض • من عامهم هذه السورة ؟ ! أوسـع ذمة فى الدنيـا ، حتـة دين سيرك • شـعرة معاوية ، فتلة معاوية ونازلة فيها تشميع •

ــ من هذه التى تشمع الفتلة يا مولانـا ؟

ــ اللغـة ، لغتنـا يا حماد يا بنى • هـل تعرف « زدتنا شرفا » تعني ايـه بالضبط ؟

ــ تعنى « ضحك على الدقـون » بالضبط •

ــ وهـل تعرف « بالضبط » تعنى ايـه ؟

ــ تعنى « بالويـم » (*) بالضبط

ــ عفارم • يعجبنى فيك أنـك بدأت تزن الأمور بالويـم • والويـم يا حماد أقـدم ميزان فى الوجود •

(*) بفتح الواو والياء أى بالتقريب والنظر •

وهـو ميزان موازيننا ، وعمـود شـخصيتنا الفقرى •
من غيره لا نسـاوى كوز ذره ، الويـم المسـكين طـرد
من كل أرض ، ولـم يجـد لـه مأوى الا أرضنـا
الوسية المضيافـة •

ـ كلامك يآ مولانـا صحيح « مليون » فى المية •

ـ « ألف » شكر يا ولدى ، و «ميـه » مسـا علـى
المفهومية يا ابن « ستين » فى « سبعين » لـو قيـل
لك يا حماد ان العلم يطالبـك بالتحديد ، بـدل هذه
البعزقـة فى الملايين والآلاف ، التـى نحرر بهـا
لغتنـا الجعرة (*) ، فما أنت قائل ؟

ـ الويـم العلمى •

ـ باسم الله ما شاء الله • واذا زنقـوا عليـك ،
وحفلطوا معك ؟

ـ علـم الويـم •

ـ عفارم • علم الويـم يقطـع بأنـك جحا الثانى •
أمـا « زدتنا شرفـا » الرقيعـة التى تقذفنـا بهـا
كـل قريـة ، فماذا يقـول عنها علم الويم عندك ؟

ـ « من غير مطرود »

ـ عامـك أكل ذيـل المعنى • والصـحيح هو
« من غير مطرود يا شرفنطح » •

ـ ومن أيـن أتت هذه الشرفنطح يا مولانـا ؟

ـ من « شرفت » ، و « انطح » رأسك فى الحيط •

(*) عالية الصوت ، ذات الافخـاذ والاعجاز والذيول •

القالبان أخذا يتناطحان بفعل عوامل التعرية ، فطارت التاء الأخيرة والألف الأولى والتحمتا فى شرفنطح . الويم يا حماد ينتج فى اللغة كلمات شغل يد ، موش مكن .

ـ بقيت يا مولانا الشيخ شرفنطح ، خاتمة كل العروض ، والنقطة فى آخر الجملة ، وهى كلمة « اتفضل » الفاصلة ، بم تفسرها يا سيدنا ؟

ـ أعطنا عرض أكتافك .

ـ الفضل والشرف اذن بتوع كله ؟

ـ من أسماء الاضداد ، يعنى تشتغل على الوشين ، للترحيب وللطرد . والأخيرة هى الأشيع والأجرى على الالسنة . وهذه يا حماد يا خويا هى الكوسة اللغوية .

ـ وكيف يميز العقل هذه من تلك ؟ هل يضرب لهما الودع ؟ !

ـ تأمل القناع الذى يلبسه الوش .

ـ ان كان قناع الضحك ، يبقى ترحيب .

ـ لا يا خائب ، أهو ده بتاع الطرد .

ـ يا خفى الألطاف ، القناع هو الآخر يلبس قناعا ؟ !

ـ تمام . ابتدأت تأكل الملبن .

ـ الحالة اذن مستعصية يا سيدنا ؟

ـ وديل الكلب ما يتعدل ، ولو علقوا عليه ستميت قالب . اللغة يا ولدى يصنعها الناس وتصنعهم ، وتيجى تصيده يصيدك يا حماد .

وقريبة تشيلهما وقريبة تحطهما ، والحمار من تحتهما ليس أحسن منهما حالا . حتى وصلا الى ساحة قرية ، أهلها مجتمعون حول ثعلب أمسكوا به حيا ، سأل جحا

ـ كلكم على هذا المغوص ! مفيش رحمة ؟ !

ـ وهو كان عنده رحمة ، لما قعد يتسلى على فراخنا لغاية ما شطب عليها ؟ !

ـ وماذا تريدون منه ؟

ـ الانتقام .

ـ من النوع الطويل أم القصير ؟

ـ الطويل طبعا .

ـ اذن اتركوه لى . أنا له .

ونظروا الى جحا .. رجل بفراء ، وعمامة بحجم القبة ، وله غلام . قالوا فى عقل بالهم : « هلبت أعلم منا » .

وأفسحوا له . قال جحا

ـ يا حماد ، أمسك على أبا الحصين (*)

وشرع يخلع فراءه وجبته . ربط الجبة فى وسط الثعلب باحكام . وباحكام لف الفراء حول

(*) كنية الثعلب .

رقبة الثعلب • ثم أمسك به من حماد • وأطلقه وهو يخاطبه

ــ اذهب فأنت حر •

وانطلق الثعلب ، وأعين القرية من خلفه تقدح الشرر • واندارو الى جحا والغيظ يحرقهم وهم يقولون :

ــ حر !!

ــ اطمئنوا • حرية الموت • عزرائيل منذ الآن مخاويه • والموت البطىء فى انتظاره • سيقتله سيدكم وسيد من خلفوكم ، الجوع الكافر • منذ أن تهندم بهذه الملابس ،والمقلب الذى أخذه مغرى ، منه والقبر • الملابس ستقطع رزقه • لن يؤويه انسان واحد ، أو يطعمه ، أو يحن عليه ، اسألونى أنا المجرب •

(٣٥)

جحا وقد أردف حمارا خلفه ، يكلم نفسه

ــ الآن أبو الحصين أكل الفراخ ، وتحلى بالجبة ، ونفش بالفرو • أبو الحصين تركنى من غير عدة الشغل • واعظ من غير جبة • فلاح من غير فاس • ماذا يفعل ؟ !

ــ أنت يا مولانا الذى أعطيت وأطلقت •

ـ حينما يكون المرء يا حماد مفلسا ، تتجه حركته كلها الى الخارج ، وكانما يملك العالم . يهون كل شيء ، ويقلب راحته كما تقلب الاناء الفارغ حتى لا يقع فيه شيء . وحينما يملك المرء يا حماد ، تنقلب سحنته ، وتنقلب الحركة كلها الى الداخل . يصبح لكل شيء قيمة وسعر ، ويعدل راحته للأخذ . يصبح الطريق اليه في اتجاه واحد .

ـ هل معنى ذلك أن من يملك يدخل العالم الى نفسه ، ومن لا يملك يخرج الى العالم ؟

ـ تمام .

ـ ولكن أيهما أفضل ؟

ـ المرتاح يحلم بأن يخرج ، والشقيان يحلم بأن يدخل .

ـ والعالم داخل خارج . لا يون (*) .

ـ والا فقدت الأرض توازنها ، ووقعت .

ـ وعلى أي شيء تقع ؟

ـ على الأرض .

ويصلان الى سوق الحسبة . ينزلان عن الحمار .

ـ يا حماد . عند أول تاجر مانيفاتورة خود .

ـ وماذا تفعل يا سيدنا وباطك والنجم ؟ !

ـ شغل مكنة عقلك .

(*) من ونى يني أي فتر .

يدخــلان متجرا • والى قطعة جــوخ يتجــه • يتحسس القماش ويذوقــه •

ــ ماذا جرى يا سيدنا • أنت حتاكل ، والا حتلبس ؟

ــ آكــل لاالبس •

يبقــى حتاكل بعقــل التاجر جبه •

ــ عفــارم •

ســاوم البائــع • أخــرج المحفظــة الضخمة الفارغة • يتظاهــر باخــراج المبلغ • والبائــع يطــوى القماشة • ولكــن جحا يتلمس سروالــه وهو يقــول للبائـــــع طاويــا محفظتــه •

ــ كنت أنــوى أخذ سروال ، ولكننى عدلت • أعطنى بدله جبــة ، وبالثمن نفســه • وناوله جبــة • أخذها جحــا وســار • نــاداه التاجــر

ــ يا سيدنا الشيخ ، فضيلتك لم تدفع ثمن الجبة •

ــ عجيبة • ألــم أترك لك السروال بدلها ؟ !

ــ يا سيدنا ، انت لــم تعطنى ثمن السروال !

ــ يا سبحان الله ، وهل أخذته حتى أدفــع ثمنه ؟ !

ايقــاع صاجات بائع العرقسوس مقبل ، وصوتــه
ــ اشرب لخمير •

(٣٦)

جحا ومعه حماد عائدان ليلا • حينما اقتربا من دار جحا ، رأيا لصوصا مسلحين يعبثون بقفل الباب •

فى صمت أوقف الحمار • وفى حذر انزوى به جانبا •

سأل حماد فى همس

ــ ماذا يفعل هؤلاء يا سيدنا ؟

ــ هس ، انهم يعزفون على الربابة •

ــ ولماذا لا يخرج لهم صوت ؟

ــ غدا يخرج ، ويملأ الدنيا •

(٣٧)

الفيل مقبل على القرية ، وفياله فوقه متكىء على رمحه ، وسنه مائلة الى الأمام ومشرعة • الأطفال نبض القرية ، يشكلون فيما بينهم بالطبيعة وبالغريزة ، كالغرود الرملية المتحركة ، رمحا آخر رأسه الى الفيل والفيال ، وهم يصيحون صيحات استعراض الذبيحة • رأس الرمح منهم

ــ بالعين

فيرد الرمح

ــ يا لله السلامة

والرجال فى صفين ، والنساء كل امرأة على بابها • الرجال والنساء صامتون يتفرجون • صوت رجالى

ــ الا نفرح ، والا نحزن ؟

صوت نسائى

ــ الا نزغرت ، والا نصوت ؟

وبغزيرة القرية التى تجنح بها دائما الى بر الأمان ، لاذ أهل اليمين بالفرح • وأهل الشمال بالغضب •

العمدة مهرول ، وعلى مسافة يقدم التحية منحنيا للفيل • ثم يواجه الناس قائلا :

ــ أنتم طبعا تعرفون مولانا تيمور لنك ؟

الكل : وفيه حد ما يعرفش نعوذ بالله الأعرجن ؟

ــ مولانا تيمور لنك اختص بلدنا بهذا الفيل العظيم •

اليمين : شرف كبير ما احناش قده •

الشمال : فاقد الشيء لا يعطيه •

ــ يكون فى علمكم أن الفيل ضيف على البلد • اياكم أن تزعلوه ، أو تقفوا له فى سكة •

اليمين : حنسكنه فى نن العين •

الشمال : حنحش ونلقمه •

ــ لأه ، داهو اللى يختار أكله •

اليمين : شـــبيك لبيـــك •
الشمال : يا داهيـــه دقـــى •
ــ هل تعرفــون الاساءة الى الفيــل تعنى ايـــه ؟
الكل : حيروح يقــول لـــه •
ــ حرق البلد كله ، العاطل بالباطل • واللى ياكل على ضرسه ينفــع نفســـه •
اليمين : أمســك لسانك • فال الله ولا فالك •
الشمال : دى الحيطه لها ودان •
الكل : والفيل لسانه بيضرب باللاوندى والمغولـــى •

(٣٨)

ســالوا جحـــا

ــ الشمس أفيـــد أم القمر ؟

ــ الشمس لا تفيد بالليــل ، ولكن القمر حينما يطلع ينور الدنيا • القمر أعظم •

(٣٩)

سالوا جحـــا
ــ أنت الأكبر أم أخــوك ؟

ـ قالت لى أمى فى العام الماضى : أخوك أكبر منك بسنة واحدة • وعلى هذا الحساب نكون فى هذا العام فى عمر واحد •

(٤٠)

صوت المنشار ، يدخل عليه صوت غليظ ، يعترضه مزمار رفيع ووراءه صوت النشار الصغير من فوق •

ـ مولانا نعوذ بالله ، فاكر بأن الفيل اللى باعته ، تكريم منه للناس • فاهم بأن الفيل فضل وعدل • والناس موش حاسة بالمصيبة •

المزمار الغليظ ، وفى أعقابه صوت النشار الكبير

ـ خيبة بالويبة ، الاثنين غفلانين ، السلطان عن واجبه ، والناس عن حقوقها • والاثنين بيصبوا فى جيب السلطان • والدنيا مابتتبطلش مشى • الناس همه الشجرة اللى نايمة فوق ، والسلطان والمنشار نازلين حش •

ـ أنا حلمت يا معلمى • بأن احنا حطينا فوق الحمير دهب ، هيلا بيلا ، شجرة حية بتتلغبط •
ـ نعوذ بالله •

(٤١)

يقرع الباب ، يفتح جحا ، يجد جارا له
ـ يا فضيلة الشيخ نصر الدين ، سلفنى حمارك أردم عليه مزبلتين ، وأرجعه لك معززا مكرما .
ـ ماكانش يتعز . الحمار فى السوق .
ولا يكاد يتم عبارته ، حتى يتعالى النهيق من الداخل .
ـ يا شيخ ، اتق الله ، الحمار بالداخل ، وتقول فى السوق ؟!
ـ يا عالم مزابل . موش عيب تصدق الحمار ، وتكذب اللحية الشايبة دي ؟ !
عالم لبط . (*)

ويصفق الباب فى وجهه .

(٤٢)

جارثان يقرع الباب . يفتح جحا .
ـ نصف ساعة زمن ، أذهب الى البندر وأعود .
مسافة السكة .

(*) بفتح اللام والباء اى متمرغ فى الارض بلبطة .

ـ مع السلامة والقلب داعى لك ·
ـ فقط أعرنى حمارك ، أذهب بـه ·
ـ طيب لحظـة ، حتى آخذ رأى الحمار ·

يدخل ويعـود ·
ـ الحمار يا حضرة رفض تماما · عصلج · وأوصانى حضرته أن أبلغك أنك ستضربه ضربا مبرحا ، وتشـتمه هو وصاحبه ·

ويصفق الباب ·

(٤٣)

الباب يقـرع ثالثة · يفتح جحـا ·

هل أطمع فى أن تعيرنى حبلا أنشر عليه الغسيل ؟

جحـا يدخل ويعـود ، ليقـول
ـ الحبل مشغول الى شوشته · منشور عليه دقيق ·
ـ دقيق ؟ وهل ينشر الدقيق على الحبل ؟ !
ـ سبحان الله يا أخى · اذا كان الحبل حبلنـا ، والدقيق دقيقنـا ، ما شأنك أنت ؟ !

ويصفق الباب خارجـا ·

(٤٤)

ويلقى فى طريقه سائحا ينظر الى مئذنة طويلة تضرب فى السماء فوقف اليه • سأله السائح

ـ ما هذا ؟

ـ بئر •

ـ عفوك •

ـ بئر •

ـ وكيف تكون البئر على وجه الأرض مرتفعة ؟

ـ لقد نظفوها وقلبوها •• جعلوا باطنها ظاهرها حتى تجف وتتهوى •

(٤٥)

ويمر على مجموعة من الأطفال متنازعين • وحينما رأوه ، قاموا اليه مسرعين ••

ـ يا سيدنا ، السماء أرسلتك الينا • أوشكنا أن ننزل فى بعضنا طحنا • نريد أن نقسم هذا الجوز • قسمة أنت بيننا •

ـ حاضر يا أولادى • هل أقسمه لكم قسمة العبد ، أم قسمة الرب ؟

ـ قسمة الرب طبعا •

وغرفة غرفة أعطاها واحدا . ثم تناول ثلاث حبات ، أعطاها ثانيا . ثم غرفتين لثالث . وترك الباقين بلا شيء . وتململ هؤلاء ساخطين . قالوا :

ــ وهل هذه قسمة ؟!

ــ ألم تطلبوا أنتم بعظمة لسانكم ؟ هذه قسمة الرب . انظروا يا أولادى الى والد عبد العزيز كيف أعطاه الله حتى صعد الى السماء السابعة . ثم انظروا الى والد كسبر وجعبلو كيف خسف الله به الارض . ومئات أمثاله يموتون كل يوم من الجوع . هذه هي قسمة الرب يا أبنائي . لا تعترضوا

يرتفع في الفضاء صوت كروان . يردد الأطفال في أعقابه :

ــ لك لك يا صاحب الملك !.

(٤٦)

القرية في مؤتمر صاخب ساخط متوتر .

ــ هس سكوت سماع .

ــ الفيل ما هو بيش يمة أرض العمدة . !

ــ الدنيا مصالح

ــ ولا يمدح السوق الا كل من ربح .

ـ يهوب (١) ؟! ودى تيجى ؟!
ـ دا ابن أصــول !
ـ عينه كلها نظـر !
ـ وهل معقــول يحرج صاحبه ؟ !
ـ دا ضيف العمدة !
ـ عيب ما يصحش •
ـ هو لا سمح الله زينـــا تربية شوارع ؟ !
ـ دا فيل متربى ،
ـ على أغلى ما نملك •
ـ كل الفلاحين تمليه (٢) فى أطيان سيدنا الشيخ الفيــل •
ـ لا احنــا قادرين نقعــده مبجل ومحترم ،
ـ ونحش ونــدى لــه •
ـ ولا احنــا قادرين نسـيبة يمســح زى المحرات ،
ـ زى الطاعــون •
ـ داتوطاعون ،
ـ يشيله ويهبــده فى الأرض ،
ـ ولا احنــا قادرين ننتظــر لغايــة المجاعـــــة ما تخبط على باب دارنـــا •
ـ فره (٣) ما تخلى منهم ولا واحد •

---

(١) لـم يتجه أو يقترب والهوب هو وهج النار الذى يجذب •
(٢) الاجزاء المستديمون والفعلة من عمال التراحيل •
(٣) وبـاء يصيب الدجاج •

ـ كريـره (٣)
ـ نعمل وفـد يقابل الأعرج ٠
ـ وهل يسمحوا لنا بالدخول ؟
ـ ولـو سمحوا ، هل حنلاقى الكلام الموزون ؟
ـ ولـو لقينـا ، هـل حيسمعه ؟
ـ كل السـكك مسدودة ،
ـ مسـنكره ،
ـ بالضبة والمفتـاح ٠
ـ الا سـكة جحـا ،
ـ يا لله بينا على جحـا ،

نهايـة نهيق يقـول
ـ حـا حـا حـا ٠

(٤٧)

ضاع حمار جحا ، فخرج يبحث عنه مناديا
ـ حمار تائـه يا أولاد الحلال ٠ حمار تايـه ٠ وللـه الحمد والشكر والثنـاء ٠
ـ ولماذا تشكر الله يا جحـا ؟
ـ لانى لـم أكـن فوق الحمار ٠

---

(٣) كـوليرا ٠

(٤٨)

خرج جحا يملأ جرة من النهر ، فسقطت من يده ، فجلس على الضفة ينظر الى مكان سقوطها • رآه أحدهم ، فسأله

ـ ماذا تفعل يا شيخنا ، والى أى شىء تنظر ؟

ـ الجرة غاصت منى فى الماء ، وأنا فى انتظارها ، حتى أقبض عليها من فمها ، وأملص أذنيها •

(٤٩)

كماشة ابن جحا المحب العلالى ، كالديك والجدى ، جالس على هدية (*) ساقية بمدارها العالى • وأمامه حماد تلميذ جحا ، مسند ظهره الى الشجرة التى تظلل مدار الساقية •

كماشة كالمحدث نفسه

ـ كل يوم عمال بيقل ، بينقرض ، وفين على ما يرجع • الولادة مش زى الموت •

ـ وايه هو ده اللى انت عامل عليه مناحه ؟

(*) بضم الهاء وسكون الدال ، وهى مثلثة الشكل يجلس عليها الصبى خلف الثور وهو يسوقه •

ـ الغطا الأخضر عمال بينكمش ، الخضرة ، اللون الأخضر • الأفيال شرهة ، نازلة حرت ، مسح وتبليط • المجاعة على الأبواب • احنا ليه نسكت ، والموته واحدة •• اما على سيف الأعرج أو المجاعة • على الأقل الأولى أشرف • لماذا نسكت ؟ !

ـ وعاوز تعمل ايه ؟

ـ لماذا لا تقوم كل قرية بذبح الفيل الذى لديها وفياله والعمدة المتواطىء ، وهو أمر سهل سهل للغاية ؟

ـ وغاية سهولته دى هى الدمار والموت والقبر • لا أخضر ولا يابس • لن يبقى صريخ ابن يومين • رماد حريق أعظم •

ـ وليه يا شملول ؟

ـ الصعوبة العظمى فى التوقيت ، أن يحدث هذا فى توقيت واحد لا يخل • وده محتاج الى تنظيم يربط القرى بحبل متين ، والحبل ده محتاج الى وقت ، هو بالضبط الوقت اللى الأفيال تحتاجه للقضاء على الخضرة •

ـ الدبح عاوز توقيت ، والتوقيت عاوز وقت ، والوقت عاوز دبح •

ـ ساقية جحا •

ـ جحا ؟ ! آه لو علم الناس ، كانوا دبحوه وشربوا من دمه •

ـ ده أبوك يا كماشة •

ـ كل مجـرم لازم ياخد جزاؤه •

ـ الغرقـان يا كماشـة بيطبق فى رقبة منقذه •

ـ حتى ولـو كان المنقـذ بـلاده كلها ؟

ـ الغرقـان ما يشوفش مين اللـى بينقذه • الغرائز عميـا ، لا تـرى أبـدا الا نفسها •

ـ الناس فى كل القـرى فى حالة جنـون ، ولكنه جنون اقليمى مجزأ • لـو يجتمع •••

ـ بعد المذبحـة مباشرة أنت فى حاجة الى جيش رسمى وأهلـى • والا حنتاكل أونطه •

كلنـا بما نملك ثمن الأفيـال ، والدفـع فـورى • الفيل الواحـد ثمنـة قريـة بحالهـا ومالهـا وناسها النقاش المجنون حيخط اللـون الاحمر ، اللى يقش (١) ويبلع كل الالوان • الاعرج المجنون حيولع فى البلاد النار الحمرا •

ـ غرقهـا جحـا ، والنـار هى القشـة للغريق ، والتيران هى اللـى تخاف من الأحمر •

ـ لاه ، القشـة موش النـار ، القشـة هـى جحـا المنقـذ • البلد كلها متجهة اليـه •

ـ جحا أبق وأنـا عارفـة ، وجحـا مشـغول بنفسـه وبالدور الصـغير اللى بيؤديه •• يعرى

---

(١) يجمع وياكل من هنا ومن هنا •

الناس ، ويلقط عيشة • جحا من شوشته لضوافر رجليه قطاع خاص (٢) • جحا مثقف عنده زيادة الوعى بالنفس ، ورم الأنا ، وكل ما أخشاه ، أن يذهب جحا ليكحلها فيعميها •

ـ أنت متحامل •

ـ أخشى أن يكحلها ليعميها •

(٥٠)

اتجهوا الى الجامع • سمعوا صوته يؤذن • دخلوا • رأوه ينزل من المئذنة مندفعا كالسهم يقفز الى الشاع كالصاروخ • ثم يعود لاهثا •

قالوا له

ـ كف عن هذا الهذر •

ـ أريد أن أرى الى أين يصل صوتى ؟

ـ الأفيال تأكل الأخضر •

ـ صوتى سبقنى ؟

ـ المجاعة يا جحيا •

---

(٢) لا ندرى كيف اندست هذه الكلمة الى كلموث (صندوق كلام) جحا وابلسه ، ولا كيف سبحت ضد تيار الزمن حتى وصلت الى جحا •

ـ الصـوت سـلاح العرب البائر •
ـ يا سيدنا ، يا فضيلة الشيخ نصر الدين
ـ ان كان لك عند الكلاب حاجة ، قـل له يا سيدنا •
ـ اذهب بنـا الى الأعـرج •
ـ ضمنـا اللقمة الساخنة • بركـة يا جامع (١)
ـ على رأس وفـد منـا اليـه • أنت الوحيـــد اللى تسلك معاه •
ـ وفيله يوصلنـا •
ـ خلاصنـا بين يديك يا مولانا •

نهيق طويل النفس •

(٥١)

قالت اليمامة المتفقهـة لأختهـا على الصفصافـة المفضـلة •

جحـا أتـى بالفيل من أجل خلاصـه هو ، ويطلبون منه اليـوم أن يذهب بالفيل من أجل خلاصهم هم ؟ !

ـ المعادلة الصعبة نفسها • يا خي دهده (٢) !

---

(١) بقيـة المثـل « اللى جت منك ، ولا جتش منى » •

(٢) حينما تلـك مسامير هذه الكلمة ، تنفـرط الى : « ده ايه ده » •

ـ لا أبـــدا ، القضـــية هى : « هو » منقوعهم وخلاصتهم ، أم « هم » السواد والدهماء ؟!

ثم « هى » : تكـون أو لا تكـون ؟! وهى أســهل المعـادلات طـرا ٠

ـ تكـون طبعا ، والا فسد الكون ٠

ـ الجماعـة من أجـل الفـرد المختـار ، الانتحار الجماعـى فى السنوات الكبيسـة ، عندما تظهــر بقـع فردية وغشـاوات فى نن عين شمس المجتمع ٠

ـ الانتحـار الجماعـى الذى لا يحـدث الا فـى الكائنـات الدنيا الفاشـية ٠ وهـل ثمـة أدنـأ مـن هذه كائنـات !

ـ آى نعم ٠ سـلم لسانك ٠

(٥٢)

ليلتها ، ليلة التوكيـل ، نـام ، وفى الحـلم جـاءه منكر ونكير ملكـا المـوت ٠ وعنـد اقدامه ألقى نكير المرزبـة وهو يتهكم ٠

ـ ويأتيك النـوم يا شـيخ خرتيت ؟ آ هى ٠ قـم ٠ فـز ٠ فـز قـم قامت قيامتك ٠

جحـا : أفهم أن المـوت لـم يحن بعد يا أفندينـا

منكر : صحيح الأوان لـم يؤن ٠

جحـا : ومتى يئون ؟

منكـر : حين يئون ٠

جحـا : معنـاه أن هذه الزيـارة من بنـد زائـر الفجـر ، وأن الحسـاب والتحقيقـات غير مشروعـة ، غير قانونية ٠

منكر : هـل تقصـد أننا قادمان من عنـد مـلاك آخـر غير عزرائيـل ؟

جحـا : من عند أنفسـكم مثلا ٠ للنزهـة وتزجية الوقـت ٠

منكر : طيب ، وهذه المرزبـة التى لا تخـرج الا فـى مهمة رسمية ميتافزيقية ، وبجمهرة من الامضاءات ؟

نكير : أو تحب أن تذوق الطعم حتى تطمئن ؟

جحـا : صدقت وآمنت واطمأننت ٠ ولكن الحساب لا يكون الا بعد الموت ٠ وأنـا لـم أمت بعد ، هـل هى اذن مجرد بـل ريق وهرش عـدة ؟

منكر : اعتبرها الهرشة الأخيرة ٠

جحـا : أما أنـا فلن أفـوه بكلمة الا بحضـور الفقيـه المحامى اذن ٠

نكير وهو يزحزح المرزبة بقدمه ومشيرا اليها

ـ هوذا محاميك يا شملول ٠ سـتجعل لسـانك مطرحـة (١) ٠ اطمئن ٠

جحـا : وماذا تريدان من العبـد الفقيـر الذى لا يطلب من الله الا الستر ؟

---

(١) التى تبطط عليها الخبازة الرغيف ٠

نكير : ستر وأنت لا تعيش الا على كشف كل ستر ؟ ويمسك بعنق المرزبة •

جحا : أنا بالفعل أكشف كل ستر ، ولكن ليضبط كل انسان نفسه عاريا متلبسا ، فيخجل من نفسه ، ويقلع عن فعل العيب •

منكر : ولماذا لم تضبط نفسك وأنت تخرب بيوت كل الفلاحين فى بلدك ، ومن أجل انقاذ نفسك ؟ !

جحا : أصل الروح حلوه يا منكر بك ؟

منكر : روح فى كفة ، وآلاف الأرواح فى كفة ؟ !

نكير : يا جحا • قم • فز • قم •

منكر : يا جحا • ماذا فعلت بالفلاحين فى بادك ؟

جحا : الروح حلوة •

منكر : الله خصك أنت وحدك بين هؤلاء القوم ، وأمام الشرير الأعرج بنعمة العقل ، هل هى لك وحدك ، أم لصالح الجميع ؟

جحا : العقل قطاع خاص •

منكر : ان كان هو السلعة الوحيدة فى السوق ، ان كان هو الليمونة الوحيدة فى بلد قرفان تؤمم (٢) الليمونة •

جحا : هل أنا فى محنة ؟

---

(٢) من الكلمات التى هربت (بضم الهاء) فى عكس اتجاه الزمن من عصر لاحق الى عصر سابق •

منكر : تهمك النتيجة ، وباية وسيلة •

جحا : يا منكر باشا ، لقد شغلت عقلى فقط من أجل فكرة النجاة ، وليس من أجل جوع الفلاحين •

منكر : يا نكير • تول أنت متاهات هذا الكلام والكلموت •

نكير (وهو يرفع المرزبة) : حينما تذوق متاهة واحدة من متاهات هذه المرزبة ، وتبطاك ، تقلع تماما عن متاهات التبرير وتحرم ... ودنك منين يا جحا • وساقية جحا • ومسمار جحا وخد يا جحا •

وينزل بالمرزبة • وحينما يصبح ما بينهما وبين جحا شعرة ، يستيقظ صارخا بالمقلوب : « دستوركم يا فلاحين » •

من بعيد ايقاع صاجات بائع العرقسوس يتلاشى • وصوته يرتفع وهو يجز •

ـ اشرب ـ •

(٥٣)

بعد منتصف الليل ، خرج جحا يدور فى الشوارع باحثا منقبا • صادفه خفير الدرك • سأله :

ـ انت بتدور على ايـه فى نص الليل ؟
ـ على النـوم ٠
ـ النـوم ؟
ـ أصل النوم هرب من عينى ٠

(٥٤)

صحب جحا وفد القرية ، وتوجه بهم لمقابلة تيمور ٠ وحينما مثل بين يديه ٠ قال له
ـ لقد انتدبنى هؤلاء القوم عنهم يا مولاى ، لتقديم واجب الشكر على احسانكم العميم ، باختصاص قريتنا الضعيفة ، وتكريمها بفيل من أفيال عظمتكم ٠ وهذا شرف عظيم لم تحلم به قريتنا قط ٠ ولكن الفيل العزيز ٠٠
ـ من يعكر مزاج الفيل ، يحرق مع بيته وأسرته وقريته كلها ٠
ـ يا مولانا المعظم « نعوذ بالله » ، البلد كله يتعارك من أجل العناية بالفيل والحفاوة ٠ ولكن الفلاحين لاحظوا أن الفيل غير مبسوط تماما ٠ وربما أتى من الاحساس بالغربة والوحشة والوحدة ٠ ربما يكون الفيل فى حاجة الى ونس، الى أنثى تسليه ٠ من أجل هذا أتينا نسترحم

صـدور أمركـم الكريـم ، بارسـال أنثى لـه ، وبذلك يزداد تشريفكم لنـا ، وتزداد دعواتنـا لسدتكم الملوكيـة .

سر الملك ، وأنعم على جحـا بالخلع والهدايـا ، وأمـره أن يبلغ القرويين انعـامه عليهم بالتحيـات الملوكية ، وأصـدر أمـره بارسـال فيلة الى القرية .

(٥٥)

ظـلام دامس . صوت يشق الظـلام

جحـا . جحا . ناولني وحياتك الشمعة التى الى يمينك .

ــ أنت مجنـون وكيف أعـرف يميني من شـمالى فى هذا الظلام الدامس ؟ !

(٥٦)

البيـوت لفظت كل محتوياتها الآدمية الى الشـارع الملتوى الذى يقسـم البلد ، بلا تنظيم تلقـائى أو مرسـوم ، وبلا أدنـى شبح أو ظل صوت .

ويصل الركب ، فيوسعون لـه الى الجانبين ، يملأهم الصمت ويفرغهم ٠

تسرقهم السـكين ٠

فى المقدمة الفيلة والفيـل ، وطرفـا خرطوميهمـا يتواصـلان ٠ فوقهما جنديـا المدرعـات (*) فـى كامل العـدة والعتـاد ٠

ثـم العمدة وجحـا والأعيـان من التجـار وأصحاب الأطيـان ، وكوكبـة الخفـراء بنمرهم النحاسية تلمع فـوق سـواد الطرابيش ، كعيـون أحادية أسطورية ٠

والثغـور جميعـا مفتـرة عن بسـمات ، حمراء ٠ وصفراء ٠ ومجهضـة ٠ وعن شىء هائـل كظيـم ٠ ترمى الابرة تـرن ٠

وخلف موكب هذا الزفاف ، وفى صمت مطبـق يتحـرك من الجانبين كل من انحسر عنـه الموكـب فى طابورين من الجانبين ينمجـان ٠ ومشـهد العرس

(*) الكلمة ليست من المهربات عكس اتجاه الزمن ، لانها من « تدرع وادرع » اى لبس الدرع ، وفيل الامس كدبابة اليوم ، كلاهما خير الدروع الوقائية المهاجمة ٠

الجنائزى يطـول بما ينضم اليـه ، حتى يصـل الجمع كله ـ دون أن يتخلف حى ـ الى الحقـول ·

وعند أول حـدود الخضرة المقروطـة يتوقف المشهد · ينزل الجنديـان ، يمسـح كل على خرطوم فيله ، ومن لـدن كتفـه ·

وفـوق كفله يربت فى صـوت يـرن فى جبـل الصمت المطبق · الصوت اليتيم ·

وينطلق الفيـلان الى مهمتهما الأزلية ، التى يشحنها اللقـاء ويشحذهـا ··· أن يمحـوا عن الأرض وجههـا الأخضر ·

واندار الجنديـان · وخلفهما اندار العمدة وجحـا وكل الأعيـان والتجار والخفـراء ·

فى عين هذه اللمحة ، تتقابـل فى ومضـة حاسمة ،

أربـع عيـون ، وفى نقطـة صـدام · كالرعد حطم حـدود الصمت المغطى ·

عينـا كماشـة بعينى أبيه جحـا ، وانذلـع داخل قبتيهما بـرق ·

وللمشـــهد العائــد انفرجت الجموع • وفى أعقابهــم اندارت القريـــة ، بعــد أن وســدت الميــت الأخضر بطون الأفيـــال القبـــــور •

وكلما مــر واحــد ببيته ، انزلق اليـــه • وفــى صمت القبر ينغلق عليه • الى أن وئــدت الحركة كلها • وابتلع القرية جبل الصمت العظيم •

(٥٧)

جحـا مكتف • ملقــى على الأرض • المعلم النشـــار يشــد على ظهــره الخيط ، يمــد علامات النشر • جحـــا يــردد فى انزعـــاج شـــديد •

ـ كفــوا عن هذا الهذر •

التابع يقلبــه ، المعلم يشــد الخيط على بطنــــه وصـــدره ويعلم خطوط النشر • صــوت جحـــا يتوتـــر

ـ الهذر لا يصل الى هذا الحد •

يرفعانه فوق الحمير الخشبية مكان الجذع • يثبتانـــه • المنشـــار أمامـــه مســلط • يتخذان وضـــع العمل • يتحـــرك المنشـــار بين أيديهما • يزعق جحا فى ذعر •

ـ يكفـــا • تمهـــلا • ما دمتم تعاملوننى معاملـــة

الشجرة ، فمن حقى أن أطالب بكل حقوق الشجرة . لكل شيء أصول مرعية ، وأصول الموت أوجب ، والا زرتكم فى نومكم . روحى ستأتيكم فى الكوابيس حتى المـوت .

يتوقف المنشار ، ويميل اليه كأنما ينصت الى ما سوف يقول

ـ الشجرة تقطع ، ثم تركن فى الشمس أياما وشهورا ، الى أن تجف . الشجرة لا تنشر أبدا وهى خضراء . هذا التكتيف مقابل القطع للشجرة . قبل أن تنشرونى ، اركنونى فى الشمس بضعة أشهر حتى أجف . هذه هى الأصول يا أبناء الأصول لا تخلوا بأصول الصنعة وأنتم الاسطوات . عيب تغلطوا الغلطة دى . النشار ، ما يبقاش جزار . هى زيطه ؟ يا لله ايدك فى ايده ونزلونى .

قوم قز انت وهوه ، نزلونى فى الشمس . وبطلوا شغل طلصقة (*) .

(*) وفى لغة طصلقة ، واجراء تنقلات للحروف شائع فى العربية .

(٥٨)

أتت الوفود جحا

ـ يا شيخ نصر ، يا صديقنا ، ويا أيها العدو المبين أنت اليوم كالفيل تماما • حماية • يدنا لا تطولك • وكما أوقعتنا انتشلنا •

ـ يا أعزائي الأقربين ، انه قدر مكتوب في أم الكتاب ، محفوظ في اللوح المحفوظ •

ـ خلصنا أحسن لك

ـ نحن يا أعزائي في عام الفيل •

ـ الفيل ، النيل • ما العمل ؟

ـ ليس أمامنا الا صلاة استسقاء من نوع خاص ، أسميها « صلاة السجيل » •

ـ وما صلاتك هذه أيها الشيخ ؟ أهي احدى الاعيبك ونوادرك ؟ !

ـ أن يبعث الله جل وعلا ، سحبا من طير أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، لتجعلهم كعصف مأكول •

ـ أهذا كل ما عندك ؟

ـ أن نصوم جميعا ، وعند الغروب نحتشد

بصيامنا ودعائنـا ، على سـفح الجبـل المخضـب بدماء الضحايـا فى صـلاة موصولة الى السماء ٠

وصلاتك هذه لك أم علينـا ؟

ـ الصـلاة لا تكون الا على الظالم يا أحبائى الظلمة ٠ قوموا واحتشـدوا لليـوم المشـهود ٠

ـ سندعـو على الظالم فى صلاتنا ٠

ـ وعليه ستردون ورائى من فوق الجبل ٠

(٥٩)

طـرق الباب ٠ دخـل جـاره ٠ جلس ٠ قـال

ـ أنت تعلم ما وقـع من الألف الى اليـاء ، ألست محقـا فى هذه الدعـوى ؟

ـ نعم أنت محـق يا أخى ٠

وخـرج ٠ وفى أعقابـه طرق الباب خصمه ، دخل ٠ قـال :

ـ أنت تعلم ما وقـع من اليـاء الى الألف ٠ ألسـت محقـا فى هذه الدعـوى ؟

ـ نعم أنت محق يا أخى ٠

واتفق أن امرأته سمعت الموقفين ، فقصدت أن تحرجه ٠ قالت :

ـ منذ لحظة حضر جارنا ، فقلت له أنت محق ، والآن جاء خصمه ، فقلت له أنت محق ٠ فكيف يكون المدعى والمدعى عليه محقين فى دعوى واحدة ؟ !

ـ وأنت يا عزيزتى محقة أيضا ٠

ـ وأنت يا عزيزى ، هل أنت محق ؟

ـ أنا وزارة الحقانية ذاتها ٠

ـ وعائلة الفيل ؟

ـ ايه ؟

ـ الفيل وانشاه ؟

ـ ٠٠٠٠٠٠

ـ لا أسكت الله لك حسا يا سحبان ٠

(٦٠)

قالت اليمامة لأختها على فرع الصفصافة الذى لم يغيره زمانه ٠

ـ جالك كلامى ؟ هذا هو الانسان العظيم فى منحنى حضارى خطر ٠

ـ هو لها ، الوحيد الذى يأكل النبات والحيوان والجماد والنار والماء والهواء ونفسه وما يستجد معا ٠ الوحيد فى هذا الكون الذى يتسلى بالصيد ٠

ـ والوحيد الوحيد الذى يحرم الابرة من أجل سيادة القانون ، ويبلع المدرة من أجل سيادة السيادة ٠

ـ سوف يبدأ من أول وجديد ٠

ـ ساقية جحا

ـ والبركة فى جيوش الفعلة التى تسد عين الشمس من الفلاحين النمل وعمال التراحيل والخدمة السايرة ، وعرقهم الأخضر ٠

(٦١)

رأس ضخم يحجب الرؤية ، ينتجه الى السماء •

نهيق مجلجل يرج الأرض والفضـاء •

ينــــدار

ضراط

طـــظ

صدر حديثا :

ـ المنطق الجدلي ـ

هنري لوففر

ترجمة ابراهيم فتحي

ـ لوركا « مختارات جديدة » ـ

ترجمة أحمد حسان

ـ الفكر المعاصر ـ مختارات غير دورية *

ـ أحلام رجال قصار العمر ـ

محمد البساطي

صــدر حديثا فى سلسلة كراســات الفــكر المعاصر :

(٥) ازدهــار وسقوط المسرح المصرى ـ

فاروق عبد القادر

(٦) الحــلم (شــعر) ـ

حســن عقــل

اقــرا فى العدد القادم من الكراسات :

(٧) أزمة الفكر البرجوازى العربى ـ

صلاح عيسى

يصدر قريبـا :

ـ أقـوال جديدة « عن حرب البسوس »

أمـل دنقـــل

ـ فترة التوافق ، ليلة السحلية ـ مسرحيتان

تنيسى ويليامـز

ترجمة وتقديم فاروق عبد القادر

ـ الخروج من الظـل

فـؤاد قاعــــود

ـ سـول بيللو وأزمة الرواية العصرية

ابراهيم فتحـى

يصدر قريبا :

- **نقد العقل الوضعي**

« دراســـــة فى الأسس المنهجية لفـــكر

زكى نجيب محمود »

عاطف احمد

- **قاموس المصطلحات الأدبية**

اعداد : ابراهيم فتحى

- **مدخل لتاريخ الفن التشكيلى المصرى المعاصر**

محمد حسن سالم

تطلب كتب الدار من المكتبات الآتية :

مكتبات الهيئة العامة للكتاب ـ مكتبة دار المعارف (عبد الخالق ثروت) ـ مكتبة مدبولى ـ النهضة المصرية ـ النهضة العربية ـ الانجلو ـ دار حراء ـ العربى للنشر والتوزيع ـ مكتبة روز اليوسف ـ منهل الثقافة ـ دار الفكر العربى ـ مكتبة دار الثقافة الجديدة ـ عالم الكتب ٠


22
1
0528483


دار الفكر المعاصر